٥٠

«الناس تُهزم بالخذلان .. لا بعدد الرجال»

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾[سورة آل عمران: الآية: ١٦٧].

﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾[سورة النساء: الآية: ٨٨].

* * *

obeikandl.com

«النبى ﷺ والمسلمون وقد فرغوا من مواراة مالك بن عمرو من بنى النجار.. فَارَقَ ليومه، فأبى النبى – عليه السلام – إلا أن يصلى والمسلمون عليه قبل أن يخرجوا.. المسلمون يتجهزون كل بما يقدر عليه.. النبى – عليه السلام – يترك ابن أم مكتوم ليصلى بالناس بالمدينة.. يتجمع المسلمون بظاهر المدينة يتقدمهم المهاجرون والأنصار للخروج لدفع هجوم قريش وحلفائها من بنى كنانة وثقيف والأحباش وردهم عن المدينة.. النبى ﷺ يسير بين المسلمين، يتفقدهم ويخفف عنهم ما استشعروه من ندم على إكراههم له على الخروج من المدينة.. يكفكف عنهم، ويحثهم على الصبر على ما خرجوا له لدفع العدوان الآتى إليهم من طواغيت الشرك.. يعترضه جعيل بن سراقة، بادى القلق والكرب..».

جعيل بن سراقة : (مكروبًا قلقًا متهدج الأنفاس) يا رسول الله، إنه قيل لى إنك تُقْتل غدًا!

النبى : (يضرب بيده برفق على صدره) أليس الدهر كله غدًا؟!

«النبى ﷺ يمضى فيما كان فيه من طمأنة الناس.. يقول لهم: «امضوا على اسم الله.. لكم النصر ما صبرتم..» يدفع ﷺ لواء الأوس إلى أسيد بن حضير، ولواء الخزرج إلى الحباب بن المنذر، ولواء المهاجرين إلى علىّ بن أبى طالب.. يتهيأ – عليه السلام – والمسلمون للتحرك

فى اتجاه تجمعات قريش وأحلافها بجنوب جبل أحُد بشمال المدينة.. المسلمون بسلاحهم فيهم نحو مائة دارع.. يتقدمهم صاحب العزم الأكبر ﷺ والناس من حوله، والسعدان: سعد ابن معاذ، وسعد بن عبادة، متدرعان يهرولان أمامه.. يمضى جند الإسلام مفارقين المدينة لصد العدوان.. يسلكون «البدائع» (موضع بديار خثعم)، ثم زقاق «الحِسْى» (ببطن الرمة).. عند رأس الثنية، فى طريقهم إلى حيث عسكرت قريش.. يتناهى إلى سمع النبى – عليه السلام – أصوات عالية.. يلتفت فيلمح كتيبة خشناء (كثيرة السلاح) لها زَجَل..».

النبى : (لأصحابه) مَنْ هؤلاء!

الصحابة : خليط من حلفاء عبد الله بن أُبى من غير المسلمين!

النبى : (متسائلاً) أسلموا؟

الصحابة : لا.

النبى : إنا لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك..

«يبادر الصحابة، فيشكرون لهم خروجهم.. يبينون لهم أن العدوان القادم من الجنوب يستهدف المسلمين لا سواهم، وأن المعركة معركة المسلمين لا سواهم! يمضى رَكْب المسلمين حتى يصلوا إلى أطمى الشيخين.. أطلقت العرب عليهما هذا الاسم نسبة إلى شيخ أعمى وعجوز عمياء من زمن الجاهلية، الأطمان بموضع بين المدينة وجبل أحد على الطريق

الشرقية مع الحرة إلى جبل أحد.. يتوقف النبى – عليه السلام – بالمسلمين لينظر فى أمر غلمان بلغه أنهم خرجوا راغبين فى الجهاد، ولا يزالون أحداثًا صغارًا.. رد – عليه السلام – فيمن ردهم: عبد الله بن عمر بن الخطاب، وأبا سعيد الخدرى، وزيد بن ثابت، وأسامة بن زيد، والبراء بن عازب، والنعمان بن بشير، وسَمُرة بن جندب.. يمضى – عليه السلام – بنفسه بين الناس ليستبعد الغلمان الصغار.. بين الناس ظُهَير بن رافع.. لا يزال غلامًا، يغلبه حماسه ورغبته العميقة فى الجهاد.. يتحايل بالتطاول على خفين ليبدو شابًا أمام الرسول».

ظُهَير بن رافع : يا رسول الله، إنى رامٍ..

«النبى – عليه السلام – يتبسم له ويجيزه.. يلمح سَمُرة بن جندب ما جرى.. ينتفض إلى ربيبه (زوج أمه) مُرىّ بن سِنان الحارثى غاضبًا..».

سَمُرة بن جندب : (لربيبه) أجاز رسول الله رافع بن خَديج، وردنى! وأنا أصرعه!

مُرىّ بن سنان : (للنبى) يا رسول الله، رددت ابنى وأجزت رافع بن خَديج وابنى يصرعه!

«النبى ﷺ يتفقدهما متبسمًا فى مودة.. يختبر تباريهما، فينتصر سمرة.. يتغشاه الفرح وقد أجازه النبى مع رافع بن خَديج..».

* * *

«بطرف من أطراف عسكر المسلمين.. عبد الله بن أبى فى نفر من حلفائه وفيهم بعض المنافقين.. عبد الله بن أبى لا يستطيع أن يخفى ضيقه من استغناء النبى – عليه السلام – عن حلفائه من غير المسلمين.. يهتبل الفرصة ليحدث المنافقين الذين معه فى خطأ الخروج من المدينة..».

بعض المنافقين : (محرضين) أشرت عليه بالرأى ونصحته وأخبرته أن هذا رأى من مضى من آبائك.. ومع أن هذا كان رأيه مع رأيك، إلا أنه أطاع هؤلاء الغلمان وترك ما أشرت به؟!!

«ابن أُبى يبدو كمن يطوى صدره على أمر لم يفصح عنه!!».

* * *

«عسكر المسلمين، وقد أرخى الليل سدوله، وأذن بلال بالمغرب ثم بالعشاء حيث صلى النبى – عليه السلام – بأصحابه.. إن المسلمين لا يأمنون عيون ولا غارات قريش.. النبى ﷺ يقيم على حراسة المسلمين فى ليلتهم: محمد بن مسلمة فى خمسين رجلاً.. يرابطون بأطراف العسكر ويطوفون به..».

«النبى ﷺ يتفقد العسكر وينادى فى أصحابه..».

النبى : من يحفظنا الليلة؟

مسلم : أنا يا رسول الله..

النبى : من الرجل؟

المسلم : ذَكْوان بن عبد قيس.

النبى : اجلس.. (يستأنف) مَنْ رجل يحفظنا هذه الليلة؟

مسلم : أنا يا رسول الله.

النبى : من أنت؟

المسلم : أبوسَبُع.

النبى : اجلس.. (يستأنف) مَنْ رجل يحفظنا هذه الليلة؟

مسلم : أنا يا رسول الله.

النبى : من أنت؟

المسلم : ابن عبد قيس.

النبى : (بعد برهة – مناديًا) قوموا ثلاثتكم.

«لا ينهض إلا واحد.. هو ذَكْوان بن عبد قيس..».

النبى : (مستفسرًا) فأين صاحباك؟!

ذَكْوان بن قيس : أنا الذى أجبتك فى كل مرة يا رسول الله..

النبى : فاذهب.. حفظك الله..

«ذَكْوان بن قيس، يلبس درعه، ويأخذ درقته، ويقف يحرس رسول الله ﷺ حتى الصباح...».

* * *

« عسكر المسلمين، وقد مضى هزيع من الليل وأقبل السحر.. النبى – عليه السلام – ينهض فينادى فى المسلمين..»

النبى : أين الأدلاء؟

بعض الصحابة : لبيك يا رسول الله.

النبى : من رجل يدلنا على الطريق، ويخرجنا على القوم عن كثب.. لا يمر بنا عليهم؟

أبوخيثمة الحارثى : أنا لها يا رسول الله.

«يبدأ المسلمون فى التحرك لا يفارقهم الحذر.. فقد أتت الأرصاد بأن قريشًا على أهبة الاستعداد، وأنها جمعت خيولها وأظهرت عدتها.. وأقامت عكرمة بن أبى جهل على الحراسة فى خيل من المشركين.. باتت خيولها صاهلة لا تهدأ، وتدنو طلائعهم حتى تكاد تلصق بالحَرّة.. لا يجازفون بالاقتراب بعدها مخافة محمد بن مسلمة والقائمين معه على حراسة أطراف عسكر المسلمين..».

«المسلمون فى طريقهم ملتفون حول موضع عسكر قريش، يمرون ببستان لرجل يقال له مِرْبَع بن قيظى.. منافق أحمق، أعمى البصر والبصيرة.. ما إن يسمع مقدم النبى والذين معه، حتى يندفع يحثو التراب فى وجوههم..»

مربع بن قيظى : (مغبر السحنة فى حمق واندفاع) إن كنت رسول الله فإنى لا أحل لك أن تدخل حائطى (بستانى).. (ينحنى فيأخذ حفنة أخرى من التراب فى قبضته ويلوح بيده) والله لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك لضربت بها وجهك!

«سعد بن زيد الأشهلى يغلبه الغضب.. يضربه بقوس فى يده، بينما يهم آخرون للفتك بالرجل.. ينبرى لهم النبى – عليه السلام – ناهيًا..».

النبى : لا تقتلوه.. فهذا أعمى القلب والبصر!

«يغضب بعض بنى حارثة لمربع.. ويكاد الشر يقع بين بنى حارثة وبنى عبد الأشهل!!».

بعض بنى حارثة : (ثائرين) هى عداوتكم يا بنى عبد الأشهل.. لا تدعونها أبدًا لنا!!

أسيد بن حضير : (غاضبًا) لا والله، ولكنه نفاقكم.. والله لولا أنى لا أدرى ما يوافق النبى ﷺ لضربت عنقه، وعنق من هو فى مثل رأيه!!

«تفلت بعض العبارات، حتى كاد أسيد بن حضير يفارق حلمه، لولا أن أومأ إليه الرسول – عليه السلام – فكف نفسه على مضض..».

محمد بن سلمة : (مهدئًا) اهدأوا أيها الناس، فإن فينا رسول الله ﷺ هو يأمرنا فننفذ أمره!

«وسط هياج الخواطر.. يَذبّ فرس أبى بردة ابن نيار بذنبه، فيصيب طرف سيفه.. تدفعه المفاجأة لا يعرف المصدر، فيستل سيفه..».

النبى : (لأبى بردة) يا صاحب السيف، شمْ سيفك (أغمده).. إنى أخال السيوف ستسل اليوم فيكثر سلها!!

* * *

«رَكْبُ المسلمين وقد بلغوا «الشوط».. بين المدينة وأحد.. ينخذل عبدالله بن أبى ويتراجع بمن معه من المنافقين.. يتراجع ابن أبى كأنه «هيق» (الظليم وهو ذكر النعام).. يسحب معه نحو ثلث الناس..».

ابن أُبى : (لمن معه من المنافقين) أطاع الولدان ومن لا رأى لهم وعصانى!! ما ندرى علام نقتل أنفسنا أيها الناس ها هنا؟!!

«ينطلق ابن أُبى قافلاً بمن اتبعه من أهل النفاق والريب.. يفترق أمر الناس بين راغب فى ملاحقتهم وقتلهم، وبين مؤثر لتركهم وشأنهم.. يكاد الشر يقع بين الناس.. يفيئون إلى السلامة بإشارة من الرسول ﷺ بينما ينطلق عبد الله بن حرام فى أعقاب الراجعين..».

عبد الله بن حرام : (مناديًا ابن أبى ومن انخذلوا معه) يا قوم.. أذكركم الله ألا تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر عدوهم.. ألم تبايعوه وتعاهدوه أن تمنعوه مما تمنعون منه أنفسكم وأولادكم ونساءكم؟!! يا قوم تعالوا فقاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا!!

المنافقون : لو نعلم قتالاً ما أسلمناكم، لا نرى أن يكون قتال!

ابن أبى : (لعبد الله بن حرام) ما أرى أن يكون بينهم قتال، ولئن أطعتنى يا أبا جابر لترجعن، فإن أهل الرأى والحجى قد رجعوا.. (يستأنف مداهنًا) نحن ناصروه فى مدينتنا، وقد أشرت عليه بالرأى فخالفنا، وأبى إلا طواعية الغلمان!

عبد الله بن حرام : (مقرعًا) أبعدكم الله، أعداء الله، فسيغنى الله تعالى نبيه عنكم.

* * *

«النبى ﷺ يتغشاه الوحى، فيلقنه من كلمات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾[سورة آل عمران: الآية: ١٦٧].

(يرتفع الوحى)

* * *

«النبى ﷺ يتأمل فى أحوال هؤلاء المنافقين، وما كادوا يحدثونه من شقاق، يوافيه الروح الأمين».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [سورة النساء: الآية: ٨٨].

(يرتفع الوحى)

* * *

«عسكر المسلمين وقد انقشعت سحابة انخذال ورجوع المنافقين.. صفصف عدد المجاهدين على نحو سبعمائة مجاهد يقابلهم على الناحية الأخرى ما يزيد على ثلاثة آلاف مشرك موتور.. ليس مع المسلمين إلا فرسان: فرس لصاحب العزم الأكبر – عليه السلام، وآخر لأبى بردة، بينما مع الكفار مائتا فرس!! يبادر النبى – عليه السلام – فيمشى بين الناس للربط على

قلوبهم.. يشجعهم، ويسوى صفوفهم.. يمضى – عليه السلام – بمن بقى معه ملتفًا ليعسكر بهم على سفوح أُحد، جاعلاً الجبل خلف ظهره، مستقبلاً المدينة.. وجبل «عينين» على جنبه.. المسلمون على قلة عددهم وعتادهم تملؤهم أشواق الجهاد لرد البغى وصد العدوان الآتى إليهم من أئمة الشرك والضلال.. النبى – عليه السلام – يثبتهم وينهاهم أن يقاتل أحد حتى يأمره..».

عمارة بن يزيد بن السكن : (محتجًّا) أنرعى زروع بنى قيلة.. يطلقون خيولهم وعيرهم تأكل زرعنا، ولما نضارب؟!.. قد سَرَّحت قريش الظّهر والكُراع فى زروعنا!!! أندعهم يفعلون ولا نحاربهم؟!

«النبى – عليه السلام – يهدئه فى سماحة.. يدعوه والمسلمين للترقب والصبر والانتظار..».

* * *

«جند الشرك، وأحلاف الضلال بجنوب أُحد، وظهورهم للمدينة من ورائهم.. يملؤهم التيه وقد أحسوا برجوع المنافقين وضآلة عدد المسلمين الذين رابطوا أمامهم لصد العدوان.. المشركون يجعلون على ميمنتهم خالد بن الوليد فى مائة فرس، وعلى الميسرة عكرمة بن أبى جهل فى مائة فرس.. وعلى المشاة صفوان بن أمية وعمرو بن العاص، وعلى

الرماة عبد الله بن أبى ربيعة.. تحت إمرته مائة رام مدرعين..».

«المشركون يدفعون باللواء إلى طلحة بن أبى طلحة بن عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى..».

أبوسفيان : (لامزًا ومحرضًا) يا بنى عبد الدار.. إنكم قد وليتم لواءنا ببدر فأصابنا ما قد رأيتم.. يا بنى عبد الدار، نحن نعرف أنكم أحق باللواء منا! إنا إنما أتِينا يوم بدر من اللواء، وإنما يُؤتى القوم من قِبَل راياتهم، فالزموا لواءكم وحافظوا عليه، وخلوا بيننا وبينهم، فإنا قوم مستميتون موتورون، نطلب ثأرًا حديث العهد!، إذا زالت الألوية فما قوام الناس وبقاؤهم بعدها!

بنو عبد الدار : (وقد ركبهم غضب شديد) نحن نسلم لواءنا؟! لا كان هذا أبدًا، فأما المحافظة عليه، فسترى!

«يتقدم بنو عبد الدار، فيحدقون باللواء، ويغلظون لأبى سفيان حتى خشى من انتشار الشر..».

أبوسفيان : (مهدئًا الخواطر) فنجعل لواءً آخر!

بنو عبد الدار : نعم، ولا يحمله إلا رجل من بنى عبد الدار، لا كان غير ذلك أبدًا!

* * *

«عسكر المسلمين بسفوح أُحد.. يسوى النبى ﷺ بين الصفوف، ويبوئ الجند مقاعد

القتال.. يسأل العيون والأرصاد: مَن على لواء المشركين؟..».

العيون والأرصاد : بنو عبد الدار..

«ينادى ﷺ على صاحبه مصعب بن عمير..
من بنى عبد الدار.. يطير إليه مصعب..».

مصعب بن عمير : ها أنذا يا رسول الله.

النبى : إليك باللواء . خذ اللواء يا مصعب..

«النبى – عليه السلام – يدفع إليه باللواء،
يتناوله قرير العين رابط الجأش والفؤاد..».

أحد الأنصار : (مشفقًا) يا رسول الله، إن الكفار أربعة أضعاف عددنا!! ألا نستعين..

أحد الصحابة : (مقاطعًا) أرانا ﷺ فى بدر، أن الناس تهزم بالخذلان لا بعدد الرجال!

الأنصارى : ألا نستعين بحلفائنا من يهود المدينة؟! إن عليهم عهدًا وميثاقًا أن يدفعوا معنا من يهاجم المدينة!

مهاجر : اعتذروا وتعللوا بأنهم لا يقاتلون ولا يعملون فى السبوت (أيام السبت)!!

النبى : (حاسمًا) لا حاجة لنا بهم..

«النبى ﷺ ينادى فى المهاجرين والأنصار
وعامة المسلمين.. يقوم فيهم خطيبًا، ناصحًا
ومشجعًا..».

النبى : «أيها الناس أوصيكم بما أوصانى الله تعالى به فى كتابه، من العمل عليه، ثم وطّن نفسه له على الصبر واليقين،

فإن جهاد العدو شديدٌ كرْبه، قليل من يصبر عليه إلا من عزم الله تعالى رشده، فإن الله تعالى مع من أطاعه، وإن الشيطان مع من عصاه فافتتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد، والتمسوا بذلك ما وعدكم الله تعالى، وعليكم بالذى أمركم به، فإنى حريص على رشدكم، وإن الاختلاف والتنازع والتثبيط من أمر العجز، والضعف، مما لا يحب الله تعالى، ولا يعطى عليه النصر ولا الظفر.. (يستأنف) يا أيها الناس جُدّدَ فى صدرى أن من كان على حرام فرق الله تعالى بينه وبينه، ومن رغب له عنه غفر الله تعالى له ذنبه، ومن صلى علىّ صلاة صلى الله عليه وملائكته عشرًا، ومن أحسن من مسلم أو كافر وقع أجره على الله، فى عاجل دنياه وآجل آخرته، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة إلا صبيًا أو امرأة أو مريضًا أو عبدًا مملوكًا، ومن استغنى عنها استغنى الله عنه، والله غنى حميد.. (يستأنف) ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله تعالى إلا وقد أمرتكم به، ولا أعلم من عمل يقربكم إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه، وأنه قد نفث فى روعى الروح الأمين أنه لن تموت نفس حتى تستوفى أقصى رزقها لا يُنقص منه شىء، وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله ربكم، وأجملوا فى طلب الرزق، ولا يحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية الله تعالى، فإنه لا يُقدر على ما عنده إلا بطاعته، قد بين لكم الحلال والحرام غير أن بينهما شُبهًا من الأمر، لم يعلمها كثير من الناس إلا من عصم الله تعالى، فمن تركها حفظ عرضه ودينه، ومن وقع فيها كان كالراعى إلى جنب الحمى أوشك أن يقع فيه، وليس ملك إلا

وله حمى، ألا وإن حمى الله تعالى محارمه، والمؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد إذا اشتكى تداعى عليه سائر جسده، والسلام عليكم».

* * *

«النبى ﷺ يطوف بالمسلمين.. يذكرهم بما حذرهم منه.. ألا يقاتلوا أحدًا حتى يأمرهم بالقتال.. يعين على الميمنة الزبير بن العوام، وعلى الميسرة المنذر بن عمر الغنوى.. ويختار – عليه السلام – عبد الله بن جبير، أخا بنى عمرو بن عوف، فيجعله على الرماة وهو معلمٌ بثياب بيض.. عين معه خمسين من أصحاب الرمى.. فأمرهم بأن يكمنوا من ورائهم بسفوح جنوب أحد..».

النبى : (للرماة) انضحوا الخيل عنا، لا يأتون من ورائنا، إن كانت لنا، اثبتوا مكانكم لا نؤتين من قبلكم، الزموا مكانكم لا تبرحوا عنه، وإذا رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل فى عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم، وإن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا، حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا نُقتل فلا تُعينونا ولا تدفعوا عنا، وارشقوهم بالنبل فإن الخيل لا تُقدم على النبل، إنا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم. اللهم إنى أشهدُك عليهم.

* * *